

تطبيب الخواطر

محمد صالح المنجد

ساهم في إعداده
الفريق العلمي بمجموعة زاد

ح
مجموعة زاد للنشر ١٤٣٢ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
المنجد، محمد صالح
تطبيب الخواطر/ محمد صالح المنجد - جدة ١٤٣٢ هـ
٨٠ ص، ١٢×١٧ سم
ردمك : ٣-٣٢-٨٠٤٧-٦٠٣-٩٧٨
١- الأخلاق الإسلامية ٢- الآداب الإسلامية أ.العنوان
ديوي : ٢، ٢١٢ : ١٤٣٢ / ٥٥٠

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م



للنشر

المملكة العربية السعودية

الخبر - هـ: ٨٦٥٥٣٥٥

جدة - هـ: ٦٩٢٩٢٤٢

ص.ب: ١٢٦٣٧١ جدة: ٢١٣٥٢

www.zadgroup.net

مَجْمُوعَةُ الْمَنَجَر

تطبيب الخواطر



مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فما ينبغي مراعاته في حياتنا الاجتماعية؛ السعي لنشر الود،
والتآلف، والمحبة، والإخاء، وسلامة القلوب بين المسلمين،
ومن وسائل ذلك تطيب خواطر المنكسرين، والضعفاء،
والمعوزين، والمضطهدين، والمنكوبين؛ بالوسائل المتنوعة.

وفي هذا الكتيب بيان شيء من ذلك مما ورد في كتاب الله
تعالى، وصحيح السنة، وما أثر عن سلف الأمة.

ونسأل الله أن يفرج هم المهمومين، وينفس كرب
المكروبين.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله
وأصحابه أجمعين.

محمد صالح المنجد

تطبيب الخواطر

إن مكارم الأخلاق، صفة من صفات الأنبياء والصديقين والصالحين، بها تنال الدرجات، وترفع المقامات، وتثمر التحاب والتألف، وضدها يثمر التباغض والتحاسد والتدابير؛ ولذا فقد حث النبي ﷺ على حسن الخلق، والتمسك به، وجمع بينه وبين التقوى؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل النبي ﷺ ما أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: «التَّقْوَى، وَحُسْنُ الْخُلُقِ»^(١).

وتطبيب النفوس المنكسرة، وجبر خواطر أهل الابتلاء من أعظم أسباب الألفة والمحبة بين المسلمين، فهو إذن أدب إسلامي رفيع، وخلق عظيم، لا يتخلق به إلا أصحاب النفوس النبيلة.

وهو عبادة جليلة، بل إن بعض العلماء ذكروه في أبواب

(١) رواه ابن ماجه (٤٢٤٦) وحسنه الألباني.

الاعتقاد، كما قال إسماعيل بن محمد الأصبهاني رحمه الله:
(ومن مذهب أهل السنة مواساة الضعفاء.. والشفقة على
خلق الله)^(١).

فأهل السنة يعرفون الحق ويرحمون الخلق، ويريدون لهم
الخير والهدى، ولذا كانوا أوسع الناس رحمة، وأعظمهم
شفقة، وأصدقهم نصحاً، قال شيخ الإسلام ابن تيمية
رحمه الله: (وأئمة السنة والجماعة، وأهل العلم والإيمان،
فيهم العلم والعدل والرحمة، فيعلمون الحق الذي يكونون
به موافقين للسنة... ويرحمون الخلق، فيريدون لهم الخير
والهدى والعلم)^(٢).

(١) الحجّة في بيان المحجة (٢ / ٥٧١).

(٢) الرد على البكري (٢ / ٤٩٠).

عناية الإسلام بتطبيب النفوس

اعتنى الإسلام بهذا الخلق غاية الاعتناء، بل شرع لذلك أحكاماً عديدة، في مناسبات متعددة، فمن ذلك: استحباب التعزية لأهل الميت؛ لتسليتهم، ومواساتهم، وتصبيرهم، وتطبيب خواطرهم على فقد ميتهم. وشرع للمطلقة غير المدخول بها نصف المهر، تطيباً لخواطرها، وجبراً لكسر نفسها، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ [البقرة: ٧٣٢].

وكذلك جاء الشرع بإقرار الدية في القتل الخطأ؛ لجبر نفوس أهل المجني عليه، وتطيباً لخواطرهم^(١). ولتأكيد أهمية هذا الخلق وبيان فضله؛ فقد كان من أوائل التوجيهات الربانية للرسول ﷺ في بداية رسالته مواساة من

(١) انظر: المغني (٩/٤٨٨).

يحتاج إلى مواساة، وتطبيب خاطره، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۙ ﴿١﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۙ﴾ [الضحى: ٩-١٠]، أي: (فكما كنت يتيماً يا محمد فأواك الله؛ فلا تقهر اليتيم ولا تذله، بل طيب خاطره، وأحسن إليه، وتلطف به، واصنع به كما تحب أن يصنع بولدك من بعدك)^(١).

فنهى الله تعالى عن نهر السائل وتفريعه، وأوصى نبيه أن يتلطف به، ويطيب خاطره، حتى لا يذوق ذل النهر مع ما هو فيه من ذل السؤال، وهذا أدبٌ إسلامي رفيع.

وقد عاتب الله نبيه محمداً ﷺ؛ لأنه أعرض عن الصحابي الأعمى عبد الله ابن أم مكتوم ؓ، وانصرف إلى دعوة عطاء قريش، رجاء أن يُسلمَ بإسلامهم غيرهم؛ فقال له ابن أم مكتوم ؓ: (يا رسول الله علمني مما علمك الله)، فكره رسول الله ﷺ قطعه لكلامه وأعرض عنه؛ فأنزل الله يعاتبه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَنَّى

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٨/٤٢٧)، تفسير السعدي (٩٢٨).

﴿٢﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ﴿عيس: ١-٤﴾.

قال القرطبي رحمه الله: (فعاتبه الله على ذلك؛ لكي لا تنكسر قلوب أهل الإيمان)^(١).

ولذا كان حرص النبي ﷺ على نشر هذا الخلق بين أصحابه رضوان الله عليهم واضحاً وجلياً، فمن ذلك:
- مواساة من فقد عزيزاً أو تحمل ديناً:

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال: لقيني رسول الله ﷺ؛ فقال لي: «يَا جَابِرُ: مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِراً؟»، قلت: يا رسول الله استشهد أبي قتل يوم أحد، وترك عيالا ودينا. قال: «أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ؟»، قلت: بلى يا رسول الله. قال: «مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كَفَاحًا، فَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ؟»، قال: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً. قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَسْمُهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ»^(٢).

(١) انظر: تفسير القرطبي (٢١٣/١٩).
(٢) رواه الترمذي (٣٠١٠) وحسنه الألباني.

- وكان عليه الصلاة والسلام يساعد من وقع تحت هم الدين فيوجهه للحل:

فقد دخل ذات يوم المسجد؛ فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة رضي الله عنه، فقال: «يَا أَبَا أُمَامَةَ مَا لِي أَرَاكَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلَاةِ؟»، قال: هموم لزممتني، وديون يا رسول الله. قال: «أَفَلَا أُعَلِّمُكَ كَلَامًا إِذَا أَنْتَ قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّكَ، وَقَضَى عَنْكَ دَيْنَكَ؟»، قلت: بلى يا رسول الله. قال: «قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمِّمٍ وَحَزْنٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ»، قال: ففعلت ذلك، فأذهب الله عز وجل همي، وقضى عني ديني ^(١).

(١) رواه أبو داود (١٥٥٥)، قال الشوكاني: لامطعن في إسناد هذا الحديث. تحفة الذاكرين (٣٢١).

- وكان عليه الصلاة والسلام يطيب نفوس المهمومين
والمظلومين منهم:

فلما قال المنافق عبد الله بن أبي لأصحابه: ﴿لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى
الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنِي الْأَعْرُ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨]، وسمعه
زيد ابن أرقم رضي الله عنه فأخبر عمه؛ فأخبر عمه رسول الله صلى الله عليه وآله،
فأرسل لابن أبي؛ فحلف ووجد. قال زيد رضي الله عنه: فصدقه
رسول الله صلى الله عليه وآله، وكذّبتني... فوقع علي من الهم ما لم يقع على
أحد... فبينما أنا أسير... قد خفقت برأسي من الهم إذ أتاني
رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فعرك أذني وضحك في وجهي؛ فما كان
يسرني أن لي بها الخلد في الدنيا^(١).

أنواع المنكسرين، وكيف نطيب خواطرهم؟
واحتياج الناس اليوم إلى الكلمة الحانية، والمواساة
الكريمة، والخدمة الطيبة، والسعي في قضاء حوائجهم،
أمر ضروري ومهم، وبالذات في هذا العصر الذي كثر فيه

(١) رواه الترمذي (٣٣١٣)، وصححه الألباني.

الكلام، وقل فيه العمل، وظهر فيه الشح والأثرة، وتعانق فيه الفقر والجهل.

ومن الخطأ الجسيم أن يغفل أهل الصلاح والخير عن خواطر المستضعفين وأهل الابتلاء، ويهمشوا قضايا الناس واحتياجاتهم اليومية.

فليس من الفضول أن تُؤسس الجمعيات التي ترعى العجزة والأرامل والأيتام، وليس من العبث أن نسعى في حاجات الفقراء، والمستضعفين، والمرضى، والمنكوبين.

وأصحاب القلوب المنكسرة اليوم أنواع:

فمنهم الفقراء والأرامل والأيتام، ففي صلتهم، تطيب لخواطرهم وجبر لمصابهم:

(كانت لأبي بَرزَةَ جَفَنَةٌ [أي: قصعة] من ثريد غدوة، وجَفَنَةٌ عشية، للأرامل واليتامى والمساكين)^(١).

(وكان صاحب المغرب المنصور يجمع الأيتام في العام،

(١) سير أعلام النبلاء (٣/٤٢).

فيأمر للصبي بدينار وثوب ورغيف ورمانة^(١).
وهذا القاضي محمد بن علي المَرْوَزِيُّ (عُرِفَ بالخياط؛ لأنه
كان يخيّط بالليل للأيتام والمساكين، وَيَعُدُّهَا صدقة)^(٢).
وهذا أحمد بن علي الرفاعي (كان يجمع الحطب، ويحييء به
إلى بيوت الأرمال، ويملأ لهم بالجرّة)^(٣).
ومن يحتاجون إلى تطبيب خواطرهم اليوم أهل المصائب
والابتلاءات:

وذلك بتصبيرهم على مصيبتهم، والتخفيف من معاناتهم
وأحزانهم، بالكلمة الطيبة، والفعل الحسن، فعندما صُلب
عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما في مكة قيل لابن عمر رضي
الله عنهما: إن أساء في ناحية المسجد. فما كان منه عندما سمع
ذلك إلا أن ذهب إليها مسرعاً يواسيها، ويطيب نفسها على
ابنها. فيقول لها: (إن هذه الجثث ليست بشيء، وإنما الأرواح

(١) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣١٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥٦٥).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٧٩).

عند الله: فاتقي الله واصبري^(١).

وسمع إبراهيم بن محمد بن طلحة، أن عروة بن الزبير قد قطعت رجله؛ فذهب إليه يواسيه، فقال له: (والله ما بك حاجة إلى المشي، ولا أرب في السعي، وقد تقدمك عضو من أعضائك، وابن من أبنائك إلى الجنة، والكل تبع للبعض إن شاء الله، وقد أبقي الله لنا منك ما كنا إليه فقراء، من علمك ورأيك، والله ولي ثوابك والضمين بحسابك)^(٢).

قال قتبية بن سعيد رحمه الله: (لما احترقت كتب ابن لهيعة، بعث إليه الليث بن سعد من الغد بألف دينار)^(٣).

ومن تشتد الحاجة إلى مواساتهم أيضاً عوائل الأسرى؛ وذلك بالتواصل معهم بالزيارة، وكفالتهم، وحسن رعايتهم، لإعفافهم عن السؤال، وحفظهم من الابتزاز؛ فكم تهون على الأسير مصيبتة، حين تقرر عينه بصيانة ذريته.

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٩٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٣٤).

(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ٢٦).

ومما تشد الحاجة إليه في زماننا، تطبيب خواطر الخدم وجبر نفوسهم:

فبعض هؤلاء ترك الأهل والأوطان، متغرباً، يبحث عن لقمة العيش، وأسباب الرزق؛ فيحتاجون منا الوقوف إلى جانبهم، ومواساتهم، وتطبيب نفوسهم.

قال أحمد بن عبد الحميد الحارثي رحمه الله: (ما رأيت أحسن خلقاً من الحسن اللؤلؤي! كان يكسو مماليكه كما يكسو نفسه)^(١).

بل إن هذا الأدب الإسلامي مطلوب حتى مع الأعداء!! يقول ابن القيم رحمه الله: (جئت يوماً مبشراً لابن تيمية بموت أكبر أعدائه، وأشدهم عداوة وأذى له، فنهرني وتنكر لي واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزاهم، وقال: إني لكم مكانه، ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه، فسروا به ودعوا له)^(٢).

(١) سير أعلام النبلاء (٩/٥٤٤).

(٢) مدارج السالكين (٢/٣٤٥).

أثر تطبيب الخواطر

خُلِقَ تطبيب الخواطر أثر كبير، وفعال على النفوس، فكم تُدخِلُ الكلمة الحانية من السعادة على امرأة عجوزٍ، فتترجم تلك السعادة بدعواتٍ صادقة خالصة.

وقد تمسح على رأس طفل يتيم حزين؛ فيذكرك بهذا الموقف طوال عمره، ويدعو لك مدة حياته، وقد تقف إلى جنب أخيك فتصبره على فقد حبيب له؛ وعزيز لديه، فلا ينسى لك ذلك الموقف ما عاش؛ والنفس البشرية مجبولةٌ على حبٍّ من أحسن إليها.

فهجر هذا الأدب الإسلامي الرفيع يزيد من مصاب أهل الابتلاء، ويذهب الألفة والمحبة بين الناس، ويفوت على المسلم من الثواب والأجر الشيء الكثير.

الجانب المظلم: داء التشفي:

وعلى خلاف هذا الخلق الكريم، تجدد بعض من قست قلوبهم يفرحون أو يضحكون لحدوث ضررٍ أو أذىٍ لإخوانهم

الذين لم يمسوهم بسوء ولا أذى، وهذا فعل ينافي تعاليم الإسلام، لحديث أنس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(١).

فترى في زماننا أناساً قست قلوبهم، وجعلوا من مآسي الناس ونكباتهم مجالا للضحك والسخرية بهم، ومن صور ذلك:

الفرح بإخفاق أولاد الجيران دراسياً، أو الفرح بتناول الأبناء على السائق أو الخدم، أو الفرح لمصائب زملاء العمل، أو فرح المرأة لمكروه يصيب أقارب زوجها، أو مصائب ضررتها، أو طلاق صديقتها.

فليحذر هؤلاء؛ فإن هذه صفة المنافقين: ﴿إِن تَمَسَّكُمُ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصَابُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِبُكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠]، فقد كان المنافقون إذا أصاب المؤمنين خصبٌ، ونصرٌ، وتأيدٌ، وكثروا وعزَّ أنصارهم،

(١) رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

ساءهم ذلك، وإن أصاب المسلمين جَدْبٌ أو أُدِيلَ عليهم الأعداء، لما لله في ذلك من الحكمة، فرح المنافقون بذلك^(١).

يا عَائِدًا قَدْ جَاءَ يَشْمَتُ بِي

قَدْ زِدْتَ فِي سُقْمِي وَأَوْجَاعِي

وَسَأَلْتَ لَمَّا غَبْتَ عَن خَبْرِي

كَمْ سَائِلٍ لِيُجِيبَهُ النَّاعِي

ولرغبة بعض النفوس في التشفي من عاقبها أو ظلمها، فقد أمر سبحانه بالمعاقبة بالمثل في القصاص دون تعدٍ أو تجاوز، فقال تعالى: ﴿فَمَنْ أَعَدَّى عَلَيْكُمْ فَأَعِدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعَدَّى

عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤].

ذلك أن (النفوس في الغالب لا تقف على حدها إذا رُخص لها في المعاقبة لطلبها التشفي، فأمر تعالى بلزوم تقواه، التي هي الوقوف عند حدوده، وعدم تجاوزها)^(٢).

فالمحرم مزيد التشفي الذي يسببه التعدي في القصاص، وهو ما تقدم معناه أنفاً.

(١) تفسير ابن كثير (٢/١٠٩).

(٢) تفسير السعدي (٨٩).

وسائل تطبيب النفوس

مواساة المنكسرين وتطبيب خواطرهم لا يقتصر على الكلام فقط، بل قد تكون المواساة وتطبيب الخواطر بالمال، وقد تكون بالجاه، وقد تكون بالنصيحة والإرشاد، وقد تكون بالدعاء والاستغفار لهم، وقد تكون بقضاء حوائجهم، فعلى قدر الإيثار تكون هذه المواساة، فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلما قوي قويت^(١).

فمن وسائل تطبيب النفوس ما يلي:

١. المواساة عند فقد الأحبة:

فمما يجبر كسر النفوس المصابة عند فقد الأحبة: لطيف التعزية، فإن الكلمة الطيبة للمصاب يثبت بها بإذن الله ويغدو صبره عليها سهلاً يسيراً، فإن العبد ضعيف بنفسه، فإذا وجد هذا يعزيه، وهذا يسليه؛ سهلت عليه الأمور العظام.

(١) الفوائد (١٧١) بتصرف.

وعندما توفيت ابنة المهدي جزع عليها جزعاً لم يسمع بمثله
فجلس الناس يعزونه فجاءه ابنٌ شبية يوماً فقال له: أعطاك
الله يا أمير المؤمنين على ما رزئت أجراً، وأعقبك صبراً، ولا
أجهد الله بلاءك بنقمة، ولا نزع منك نعمة، ثواب الله خير
لك منها، ورحمة الله خير لها منك، وأحق ما صبر عليه ما
لا سبيل إلى رده^(١). فلم يروا تعزية أبلغ ولا أوجز من هذه
التعزية، وكان مما سُرِّيَ على المهدي بها.

ومن لطيف التعزية ما قيل من بعض الأعراب عندما دخل
على بعض ملوك بني العباس وقد توفي له ولد اسمه العباس
فعزاه ثم قال:

خير من العباس أجرك بعده والله خير منك للعباس^(٢)

٢. الاعتذار للآخرين، وقبول أعذار المعتذرين:

فالحرص على الاعتذار عند الخطأ، من وسائل تطيب
النفوس؛ لأن الإنسان يردُّ عليه الخطأ في تعامله مع الناس؛
وكفارة ذلك الذنب هو الاعتذار.

(١) تاريخ الطبري (٤/٥٩٣).

(٢) وفيات الأعيان (٤/٤٣).

وكذلك هو الحال (لمن أساء إليك ثم جاء يعتذر من إساءته؛ فإن التواضع يُوجب عليك قبول معذرتة، حقاً كانت أو باطلاً، وتكل سريرته إلى الله...)^(١).

٣. تبادل الهدايا:

للهدية أثر واضح في تطيب النفوس، وتصفية القلوب من الأدغال والأحقاد، فعن أنس رضي الله عنه أنه قال: (يا بني! تباذلوا بينكم؛ فإنه أودُّ لما بينكم)^(٢).

وروي عن أبي يوسف: (أن الرشيد أهدى إليه مالا كثيراً، فورد عليه وهو جالس مع أصحابه، فقال له أحدهم: قال النبي ﷺ: «جلساؤكم شركاؤكم»^(٣)، فقال له أبو يوسف: إن هذا الكلام لم يرد في مثل هذا، وإنما ورد فيما خف من الهدايا، وفيما يؤكل ويشرب مما تطيب النفوس ببذله والسماحة به)^(٤).

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٣٧).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٩٥) وصححه الألباني.

(٣) قال ابن عبد البر: إسناده فيه لين: التمهيد (٢١/ ١٢٤).

(٤) شرح ابن بطلال (٧/ ١٢٥).

٤. الابتسامة:

قال رسول الله ﷺ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»^(١)، يعني: أن إظهارك البشاشة والبشر إذا لقيته تؤجر عليه كما تؤجر على الصدقة^(٢)، فضلا عن كونها تطيب النفوس، وتزيد المحبة.

قال ابن عيينة رحمه الله: (البشاشة مصيدة المودة)، فقد يصادفك شخصٌ في الطريق وأنت مهمومٌ مغمومٌ حزينٌ؛ فيبتسم في وجهك، فتشعر أن همك قد زال، وحزنك قد رحل.

وجاء في الأثر أن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «إذا التقى المسلمان فضحك كل واحد منهما في وجه صاحبه، ثم أخذ بيده تحاتت ذنوبهما كما يتحات ورق الشجر»^(٣)، فالابتسامة إذن تنشر المحبة بين المسلمين، وتطيب خواطرهم، وتبعث الاطمئنان في نفوسهم وقلوبهم.

(١) رواه الترمذي (١٩٥٦) وصححه الألباني.

(٢) فيض القدير (٣/٢٩٧).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان (١١٤)، وهناد في الزهد

(١٠٢٨).

٥. قضاء حوائج الناس :

فقد كان رسول الله ﷺ: «لا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي له الحاجة»^(١).

قال حكيم بن حزام رضي الله عنه: (ما أصبحت وليس بابي صاحب حاجة إلا علمت أنها من المصائب التي أسأل الله الأجر عليها)^(٢).

وقال محمد بن عبد الواحد الزاهد: (ترك قضاء حقوق الإخوان مذلة، وفي قضاء حقوقهم رفعة؛ فاحمدوا الله على ذلك، وسارعوا إلى قضاء حوائجهم)^(٣).

ومشى بَقِيُّ بْنُ مَخْلَدٍ مع ضعيف في مظلمة إلى إِشْبِيلِيَّةَ، ومشى مع آخر إلى الْبَيْرَةِ، ومع امرأة ضعيفة إلى جِيَّانَ^(٤).
هذا مع كثرة عبادته، وكثرة طلابه وانشغاله بالعلم والتأليف.

(١) رواه النسائي (١٤١٤)، وصححه الألباني.

(٢) سير أعلام النبلاء (٥١/٣).

(٣) طبقات الحنابلة (٦٦/٢)، سير أعلام النبلاء (٥١٠/١٥).

(٤) سير أعلام النبلاء (٢٩٥/١٣).

٦. التزاور:

زيارة المريض حال مرضه، وزيارة الإخوان بين حين وآخر له أثر كبير في تطبيب النفوس، وتنمية المودة والألفة.

٧. فهم النفسيات:

النفس البشرية كالبحر، والنفوس تختلف باختلاف أصحابها، فما يصلح لهذه قد لا يصلح للآخرى، والله در شبيب بن شيبة حينما قال: (لا تجالس أحداً بغير طريقه، فإنك إذا أردت لقاء الجاهل بالعلم، واللاهي بالفقه، والعِيَّ بالبيان آذيت جليسك)^(١).

وهذا المنيعي حسان بن سعيد المخزومي عندما أراد أن يبني جامعاً، أتته امرأة بثوب لتبيعه وتنفق ثمنه في بناء ذلك الجامع، وكان الثوب لا يساوي أكثر من نصف دينار، فطيب خاطرها، واشتراه منها بألف دينار، وخبأ الثوب كفناله^(٢).

(١) آداب العشرة (٤٧).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/٢٦٦).

٨. إخفاء الفضل والمنة عند جبر الخواطر :

كان القعقاع بن شَوْرٍ إذا قصده رجلٌ، وجالسه، جعل له نصيباً من ماله، وأعاناه على عدوه، وشفع له في حاجته، وغدا إليه بعد المجالسة شاكرًا^(١).

فهذه بعض وسائل تطبيب النفوس والخواطر، نسأل الله أن ينفعنا بها جميعا.

ولنعلم أن المريض، والمهموم، والحزين، والطبيب، والموظف، والداعية، والغني، والفقير، والصغير، والكبير، الكل يحتاج إلى الكلمة الطيبة، والابتسامة المشرقة، والتعامل الحسن، فجميعنا يحتاج إلى هذه العبادة.

ولذلك ينبغي على الجميع إحياء هذه العبادة وتفعيلها مع الصغار والكبار، مع المرضى والأصحاء، مع الطلاب والمعلمين، مع العالم والجاهل، مع المصيب والمخطيء. فقد يصبح الطفل من العلماء والعظماء النابهين النافعين

(١) الكامل للمبرد (١/١٤٣).

لأتمته بكلمة تشجيعية يسمعها من معلمه، أو أحد والديه.
وقد يصبح المريض الذي أعياه الألم، صحيحاً سليماً معافى
بعبارة مشجعة، ودعوة طيبة، وابتسامة صادقة، من زائريه.
وقد يصبح المخطئ والمقصر، والمسرف على نفسه، صالحاً
مصلحاً بموعظة حسنة، وذكرى نافعة، وتوجيه سديد.
ولابد من استئثار موقف الضعف عند العبد؛ لربطه بالله
وحده.. فهو سلوة المنكوبين.. وملاذ المنكسرين.. وهو
الذي يملك كشف الضرّ.. ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ
وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢].. وتذكيره بالثواب العظيم
لأهل البلاء؛ كم جاء عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله
عنهما أن النبي ﷺ قال: «ما يُصِيبُ المسلم من نَصَبٍ، و
لا وَصَبٍ، و لا هَمٍّ، و لا حَزَنٍ، و لا أذىً، و لا غَمٍّ، حتّى
الشوكة يُشاكُّها إلاّ كفر الله بها من خطاياها»^(١).
وكم من أناسٍ تبدّلت أحوالهم، وتغيّرت أمورهم، بسبب

(١) رواه البخاري (٥٦٤٢).

فتنةٍ أو محنةٍ ألمت بهم، وتصبيرهم وتثبيتهم حتم وواجب؛ حتى لا يكونوا ممن تعصف بهم الأزمات والفتن، وتموج بهم رياح الابتلاء والمحن.

نسأل الله أن يعصمنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يؤلف بين قلوبنا، ويصلح ذات بيننا، ويجعلنا هداة مهتدين، غير ضالين ولا مضلين.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

مَجْلَدُ الصَّالِحِ الْمُتَجَدِّدِ

المحتويات

- ٥..... مقدمة
- ٧..... تطبيب الخواطر
- ٩..... عناية الإسلام بتطبيب الخواطر
- ١٩..... أثر تطبيب الخواطر
- ٢٣..... وسائل تطبيب الخواطر
- ٣٢..... المحتويات